﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [يونس: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين هلاكِ المُكذِّبين، وبين مطالبةِ الرّسولِ الأكرمِ بما لم يكلَّف به

لَما تقدَّمَ في الآيةِ السّابقةِ أنَّ مَنْ قَضَى اللّه بشقاوته لا يَتأتَّى إيمانُه بآيةٍ منَ الآيات، حتَّى تَنزلَ به سَطوتُهُ وتُذيقَه بَأسَهُ ونِقمتَهُ، وكانَ القرآنُ أَعظمَ آيةٍ أُنزلَت إلى النّاسِ لما لا يَخفى، أَتبعَ النّظمُ الكريمُ بيانَ اللّه عطفًا على قولِه: ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ بقولِه بيانًا لذلكَ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ﴾ بناءً للمفعولِ إيذانًا بتكذيبِهم عندَ تلاوةِ أيِّ تالٍ كان، قالوا في تلكَ الآياتِ – مع أنَّها بيِّناتٌ – ما لا معنَى له بدافعِ التَّلاعُبِ والعِنادِ، فطلبوا من رسولِ اللّه ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ غيرِ هذا في نَظمِه ومعناه، أو يبدِّلَه بغيرِه، فأَمرَه اللّه تعالى أن يبيِّنَ لهم أنَّه مُتبِعٌ لما يوحَى إليه منَ اللّه، وليس بيدِه تَغييرُ شيءٍ أو تبديلُه، وأنَّه يَخافُ أن يفعلَ شيئًا لم يأمرْه به اللّه، فيكونُ حينئذٍ قد عصاه، ويكونُ مصيرُه العذابَ الأليمَ[1].

ومنَ المناسبةِ أيضًا أنّ السّورةَ لمّا بدأَت "بذكرِ الكتابِ الحكيمِ وإنكارِ المشركين الوحي على رجلٍ منهم، ثمّ أقامَ الحجّةَ على الوحيِ والتّوحيدِ والبعثِ بخلقِ العالمِ علويّه وسفليّه، وبطبيعةِ الإنسانِ وتاريخِه وغرائزِه – أعاد هنا الكلامَ في شأنِ الكتابِ نفسِه، وتفنيدِ ما اقترحه المشركون على الرّسولِ ﷺ بشأنه، وحجّته البالغة عليهم في كونه وحيًا من عندِ اللّه تعالى"[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/86 - 88.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/78.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُتْلَىٰ﴾: تلو الشّيءَ الّذي يتلوه، وتِلوُ النّاقةِ: ولَدُها الّذي يتلوها، وتلوت القرآنَ تلاوةً. وتَلَوتُ الرّجلَ أَتلوهُ تُلوّاً، إذا تَبِعتَهُ. يقال: ما زلت أَتلوهُ حتى أَتَليتُهُ؛ أي: حتَّى تقدّمته وصار خلفي[1]. والتِّلاوةُ تختصُّ باتِّباعِ كُتُبِ الله المنزَّلةِ، تارةً بالقراءة، وتارةً بالارتسامِ لما فيها من أمرٍ ونَهي، وترغيبٍ وترهيبٍ، أو ما يُتوهَّمُ فيه ذلك، وهو أخصُّ منَ القراءة، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً، لا يُقالُ: تلوتُ رقعتَك، وإنَّما يُقالُ في القرآنِ في شيءٍ إذا قرأتَهُ وجبَ عليكَ اتِّباعُه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: 2] فهذا بالقراءة، وقولُه تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: 121] فاتِّباعٌ له بالعلمِ والعمل[2].

وقولُه هنا: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾؛ أي: قرأَ عليهمُ القارئُ آياتِ الله في القرآنِ وحُجَجه الواضحة[3].

2) ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: البيّنة: هي الدّلالةُ الواضحةُ، عقليّةً كانت أو محسوسةً، وسُمّيت شهادةُ الشّاهدين بيّنة لقوله ﷺ: «البيّنةُ على المدَّعي، واليمينُ على مَن أنكر»، والجمعُ بيّنات، وفي المحصول: البيّنة: الحجّة الواضحة[4]، يُقالُ: بانَ واستبانَ وتبيَّنَ، وقد بيَّنتُه، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: 256]، ويُقال: آيةٌ مبيَّنةٌ، اعتبارًا بمَن بيَّنَها، وآيةٌ مُبَيِّنةٌ اعتبارًا بنَفسِها، وآياتٌ مُبيَّناتٌ ومُبيِّنات. والبَيِّنةُ: الدَّلالةُ الواضحةُ عقليّةً كانَت أو مَحسوسةً. والبَيانُ: الكشفُ عنِ الشَّيء، وسُمِّيَ الكلامُ بيانًا لكشفِه عنِ المعنى الَّذي قُصِدَ إظهارُه، نحو: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138][5].

وقولُه هنا: ﴿ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: الواضحات، الدّالّة على إثباتِ التَّوحيدِ وإبطالِ الشِّركِ، حالَ كونِها واضحةَ الدَّلالةِ على المطلوب[6].

---

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (تلو).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (تلو).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/372، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/605.
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (بين).
(5) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بين).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/372، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/605.

3) ﴿لَا يَرۡجُونَ﴾: الرّجاء: ممدود، وهو نقيضُ اليأسِ، والفعلُ منه، رجا يرجو[1]، والرَّجاءُ ظنٌّ يقتضي حصولَ ما فيه مسرّة، وقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: 13]، قيل: ما لكم لا تَخافونَ، ووجه ذلك أنّ الرَّجاءَ والخوفَ يتلازمان، قال تعالى: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۚ﴾ [النّساء: 104][2].

وقولُه تعالى: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ أي: لا يأمُلونَ لقاءَنا ولا يخافونَه؛ لأنَّهم مُنكِرونَ له وجاحدون[3].

4) ﴿بَدِّلۡهُۚ﴾، ﴿أُبَدِّلَهُۥ﴾: بَدَلَ: الباءُ والدّالُ واللّامُ أصلٌ واحد، وهو قيامُ الشَّيءِ مقامَ الشَّيءِ الذّاهب، يُقالُ: هذا بَدَلُ الشَّيءِ وبَديلُه، وكذلك هو: الإبدالُ والتَّبديلُ، والتَّبَدُّلُ والاستبدالُ، ويقولونَ: بدَّلتَ الشّيءَ: إذا غيَّرتَه وإنْ لم تأتِ له ببَدَلٍ، وأبدَلتُه: إذا أتيتُ له ببَدَل، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ [النَّحل: 101]، وقالَ سُبحانه: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: 95][4].

ومعنَى قولِه هنا: ﴿أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ﴾؛ أنَّهم طَلبوا من رسولِ اللّه ﷺ: إمّا الإتيانَ بقرآنٍ غيرِ هذا القرآنِ مع بقاءِ هذا القرآنِ على حالِه، وإمّا تبديلَ هذا القرآنِ بنَسْخِ بعضِ آياتِه أو كلِّها، ووضعِ أُخرَى مكانَها ممّا يُطابقُ إرادتَهم ويُلائمُ غَرَضَهم، فأجابَهم بأمرِ اللّه: ما يَنبغي لي ولا يَحِلُّ لي أن أُبدِّلَهُ من تلقاءِ نَفسي، فَنَفَى عن نَفسِه أحدَ القِسمَين، وهو التَّبديلُ؛ لأنَّه يمكنُه لو كان جائزًا، بخلافِ الإتيانِ بقرآنٍ آخَرَ، فإنَّ ذلكَ ليس في وُسعِه ولا يَقدِرُ عليه. ويمكنُ أن يُرادَ بأنَّه ﷺ نَفَى عن نَفسِهِ أسهلَ القِسمَين ليكونَ دليلًا على نَفي أصعبِهما بالطَّريقِ الأَولى[5].

5) ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾: أَصلُ الوَحيِ: الإشارةُ السَّريعةُ، ويتضمَّنُ السُّرعة، قيل: أَمرٌ وَحيٌّ، وذلكَ يكونُ بالكلامِ على سبيلِ الرَّمزِ والتَّعريضِ، وقد يكونُ بإشارةٍ ببعضِ الجوارحِ،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (رجا).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (رجا).
(3) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/605.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بدل).
(5) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/605.

وبالكتابة، كما قالَ تعالى في شأن زكريا ﷺ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 11]، ويُقالُ للكلمةِ الإلهيَّةِ الَّتي تُلقَى إلى أنبيائِه ورُسُلِه: وَحْي؛ قالَ تعالى: ﴿*وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشّورَى: 51]؛ وذلك إمّا برسولٍ مُشاهَدٍ تُرى ذاتُه ويُسمَعُ كلامُه، كتبليغِ جبريلَ ﷺ للنَّبيِّ ﷺ في صورةٍ مُعيَّنة، وإمّا بسماعِ كلامٍ من غيرِ مُعايَنَةٍ كسماعِ موسى ﷺ كلامَ اللّه تعالى، وإمّا بإلقاءٍ في الرّوع، وإمّا بمنامٍ، والوحيُ صلةُ الرُّسُلِ باللّه الَّذي أرسلَهم لعبادِه، ومنَ الوَحيِ المختصِّ بالنَّبيِّ ﷺ قولُه هنا في الآية: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1].

6) ﴿عَصَيْتُ﴾: عَصَى عِصيانًا: إذا خرجَ عنِ الطّاعةِ، قالَ تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: 121][2]، ويُقالُ فيمن فارقَ الجماعةَ: فلانٌ شقَّ العَصا[3]، وقد قيلَ في الأثر: «ومَن عصى اللّه لم تَقِهِ منه واقيةٌ»، و المعاصي: جمع معصية، وهي كلُّ ما عُصِي اللّه به[4]، قال ذو الرّمة:

يا قابِضَ الرّوحِ عَن جِسمٍ عَصَى زَمَنًا *** وغافِرَ الذَّنبِ، زَحزِحنِي عَنِ النّارِ[5]

ويكون معنَى قولِه تعالى هنا: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾؛ أي: خَرَجتُ عن طاعةِ ربِّي بفعلِ ما يطلبونَ بأنَّ أتقوَّلَ في القرآنِ من عندي، أو أبدِّلَ في قرآنِه، أو أفتريَ على اللّه بما لم يأمرْني به[6].

❁ المعْنى الإجْماليُّ:

يُخبرُ ﷺ عن تعنُّتِ الكفّارِ ومُشركي قُرَيْش، الجاحدينَ المعرِضينَ عنه، أنَّهم إذا قرأَ عليهم الرَّسولُ ﷺ كتابَ اللّه وحُجَّتَه الواضحة، قالوا له: ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هذا بردِّه، وجئْنا

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (وحي).
(2) الرّاغب، المفردات: (عصا).
(3) أبو الفضل الميدانيّ، مجمع الأمثال: 1/364.
(4) شمس الدّين البعليّ، المُطلع على ألفاظ المُقنع، ص: 140.
(5) البيت مذكور في ملحق ديوان ذي الرّمّة، ص: 1875، وابن منظور، لسان العرب: (زحح)، والزَّبيدي، تاج العروس (زحح)، وذكره أبو العبّاس الشّريشيّ، شرح مقامات الحريريّ: 1/49.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/372، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 2/606.

بغيرِه من نَمَطٍ آخر، أوْ بدِّلْه إلى وضعٍ آخر، فأجابَهمُ الله قائلًا لنبيِّه ﷺ: قلْ يا محمَّدُ ﷺ لأولئك المعاندين: ليسَ هذا إليَّ إنَّما أنا عبدٌ مأمورٌ، ورسولٌ مُبلِّغٌ عنِ الله، وإنّي أخافُ منَ الله، فإنْ عصيتُه أصابَني يومَ القيامةِ عذابٌ عظيمٌ من لَدُنْه [1] ﷺ.

استنكارُ طلبِ المشركين قرآنًا آخرَ؛ لأنّ الرّسولَ مُبلِّغٌ يخافُ الله ولا يعصيه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواو في: ﴿وَإِذَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفٌ على قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾، فوردَ هذا العطفُ؛ باعتباره ناشئًا عن قولِهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: 32]، وذلكَ أسلوبٌ من أساليبِ التَّكذيبِ، الّتي تنافسوا فيها، وأوحى بعضُهم إلى بعض زخرفَ قولها غرورًا، وأردفَ ببيانِ أسلوبٍ آخرَ من أساليبِ تكذيبِهمُ النَّبيَّ ﷺ، وهو نفي أن يكونَ القرآنُ موحًى إليه منَ الله تعالى، زاعمين أنَّ القرآنَ وضَعَهُ النَّبيُّ ﷺ من تلقاءِ نَفسِه، ولذلكَ جَعلوا من تكذيبِهم أنْ يقولوا له: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾؛ إطماعًا له بأن يؤمنوا به مُغايرًا أو مُبَدِّلًا، إذا وافقَ هواهم [2]، ونسوا أنّ ذلك سيكون ضربةً قاضيةً لمصداقيّةِ القرآنِ وصدقيّتِه، وعليه فقد أخبرَهم الرّسولُ ﷺ، بأنّه مُبلِّغٌ عنِ الله بأمانةٍ، وأنّه لا دخلَ له في التّنزُّلِ ولا في التّغييرِ.

طلبُ المشركين تَغييرَ القرآنِ أو تَبديلَه، سفهٌ وضلالةٌ

دَلالةُ ﴿وَإِذَا﴾ الظَّرفيَّةِ الشَّرطيَّةِ:

جاءَت ﴿وَإِذَا﴾ الظَّرفيَّةُ الشَّرطيَّةُ مُتقدِّمةً على عاملِها، وهو: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ للاهتمامِ بذكرِ الوقتِ الَّذي تُتلى فيه الآياتُ عليهم، وربطًا بين جزأيِّ الجملةِ الشَّرطيَّة ﴿تُتْلَىٰ﴾ و ﴿قَالَ﴾، والتّقدير: فإذا تُتلَى عليهم آياتُنا فَحينئذٍ يقولونَ فيه هذا القولَ،

الاهتمامُ بذكرِ الظّرفِ تعجيبًا من تهافتِ أمنياتِهم الّتي لن تتحقّق

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/372.

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/87، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/115 - 116.

تَعجيبًا من كلامهم وَوَهنِ أحلامِهم، ولمّا كانَ العاملُ في الظَّرفِ فعلًا ماضيًا ﴿قَالَ﴾ عُلِمَ أنَّ قولَهم هذا واقعٌ في الزَّمنِ الماضي[1]، وأنّه أباطيلُ، لا يسندُها عقلٌ حصيفٌ، ولا مقصدٌ شريفٌ، كما يدلُّ التّعبيرُ بـ(إذا) على تكرار الجوابِ بتكرار فعلِ الشّرطِ، فطلبُهم تغييرَ القرآنِ لم يقعْ مرّةً واحدةً بل كان مُتكرّرًا، وفي ذلك إيماءٌ شدّة تمسكِّهم بضلالِهم.

سرُّ إيثارِ لفظِ: ﴿تُتْلَىٰ﴾:

خـصـوصـيَّـةُ مصطلحِ التِّلاوةِ لـجـمـعـه بـين العلمِ والعملِ

آثَرَ النّظمُ الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ التّعبيرَ بلفظ التّلاوةِ على لفظِ القراءةِ، لخصوصيَّةِ مُصطلحِ التِّلاوةِ، فإنَّ التِّلاوةَ تختصُّ باتِّباع كُتُبِ اللّه المنزَّلةِ، وأخصُّها القرآنُ الكريمُ لِما فيه من أمرٍ ونَهيٍ وتَرغيبٍ وترهيبٍ، فهي أخصُّ منَ القراءة، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً، والتِّلاوةُ تَستدعي الاتّباعَ لِما يُتلَى بالعلمِ والعملِ، وكانَ المشركون يَعونَ هذه الحقيقةَ، ولكنَّهم يُعاندونَ، فلا يُريدونَ الاتِّباعَ والعمل، ولذلك طلبوا قرآنًا على ما يناسبُ أحلامَهم ومعتقداتِهم، وكذلك فإنَّ التِّلاوةَ تكونُ في الكلماتِ يَتبعُ بعضُها بعضًا، ولا تكونُ في الكلمةِ الواحدةِ إذ لا يصِحُّ فيها التُّلوُّ؛ لأنَّ أصلَ التِّلاوةِ إتباعُ الشَّيءِ الشَّيءَ، ودلَّ على ذلكَ الجمعُ في قولِه تعالى: ﴿ءَايَاتُنَا﴾؛ أي: آياتُنا الَّتي تُتلَى عليهم تِباعًا[2].

دَلالةُ بناءِ الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعلُه:

الاهتمامُ بالمتلوّ أعلقُ بالسّياق مـنَ الـتّـصـريـحِ الـتّالي

جاءَ فعلُ التِّلاوة ﴿تُتْلَىٰ﴾ مَبنيًّا للمفعولِ مُسنَدًا إلى الآياتِ دونَ بنائِهِ للفاعل الّذي هو في الحقيقة الرّسول ﷺ؛ للإشعارِ بعدمِ الحاجةِ لتعيينِ التّالي، وللإيذانِ بأنَّ كلامَهم في نَفسِ المتلوِّ دونَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/117.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140، والرّاغب، المفردات: (تلو)، والكفويّ، الكلّيّات: 2/95، وهنري لامنس، الفرائد، ص: 46.

التّالي وبتكذيبِهم عند تلاوةِ أيِّ تالٍ كان[1]، وهو بهذا كأنّه يطوي تعيينَ من تلا، لتصلحَ الآيةُ لكلّ زمانٍ يأتي، ويكون ذلك بعدَ انتقالِ رسولِ اللّه ﷺ إلى الملأ الأعلى، ووقوعِ التّلاوةِ من غيره، فإنّه لا مانعَ من تَكرارِ المقولةِ الّتي يتضمّنُها السّياقُ، بملابساتٍ أخرى، ولهذا لم يُسَمَّ فاعلُها لتعبّرَ عن هذا التّأبّي على اللّه، وتحدّي رسوله ﷺ، وليطلب المنكِرون من كلّ داعيةٍ ما يعجزُهُ في زمانِهِ، كما طلبَ من رسولِ اللّه في أوانِهِ.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

الاهتمامُ بمَن تُتلَى عليهمُ الآياتُ بالتّلَقّي عن طريقِ البلاغِ

قدّم النّظمُ الجليلُ شِبهَ الجُملةِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على نائبِ الفاعلِ ﴿ءَايَاتُنَا﴾؛ للاهتمامِ بأنَّ هذه الآياتِ أُنزلَت عليهم رحمةً منَ اللّه بهم؛ لتَرفعَ عن كواهلِهم ثِقَلَ الوثنيَّةِ وظُلمَها وظُلُماتِها، الّتي تعفَّنَت بها عقولُهم، وغَشَى الرّانُ بها قلوبَهم، ولاختصاصِ التِّلاوةِ والبيانِ لتلك الآياتِ بهم، وخصّهم بكون التّلاوةِ واقعةً عليهم دون غيرِهم مبالغةً في شدّةِ البيانِ، فهم أقربُ النّاسِ إلى رسولِ اللّه ﷺ، فمنهمُ الرَّحِمُ والقرابةُ والجِوارُ والصُّحبةُ، ولكنَّهم قابَلوا ذلكَ بالتَّكذيبِ والعِنادِ، وطَلبوا تغييرَ القرآنِ أو تبديلَه.

دلالةُ التّعبيرِ بحرف الاستعلاءِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

تمكّنُ التّبليغِ منهم بإيصالِ التّلاوةِ إليهم يُفصحُ عن كمالِ تعنّتِهم

في قوله جلّ شأنه: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الاستعلاءِ (على)، مُستعملًا إيّاه للاستعلاء المجازيِّ، وهو تمكّنُ الفعلِ الّذي تعلَّقَ به منهم، فالتّلاوةُ عليهم تدلُّ على بلوغِ الدّعوةِ إليهم واضحةً بيّنةً.

سرُّ التّقييدِ بالحال في قولِه: ﴿ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾:

توصيفُ بيانِ اللّه آياتِ القرآنِ بأنَّها بيِّناتٌ؛ لزيادةِ التَّعجيبِ من

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/86، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.

طَلبِهم تبديلَها، لا بطلبِ تبديلِه، إذ لا طَمَعَ في خيرٍ منَ القرآن[1]، و"وصفُ الآياتِ بأنّها بيّناتٌ، يدلُّ على أنّ مَن عندَه أدنى نظر، يستطيعُ أن يبصرَ وجهَ الحقِّ في هذه الآياتِ البيّنةِ المشرقةِ، وأن يهتدي بها، ولا يجادل فيها، أو يقف موقفَ الشّكِّ والعنادِ منها"[2].

البيانُ والوضوحُ في التّبليغ أوقعُ في إقامةِ الحجّةِ، وأدلُّ على التّعجبِ من سوءِ طلبِهم

دلالةُ الإضافةِ في: ﴿ءَايَاتُنَا﴾:

في قوله عزّ ذكرُه: ﴿ءَايَاتُنَا﴾ عظّم النّظمُ الكريمُ الآياتِ بإضافتها إلى ضمير التّعظيم مُسنَدَةً إلى من أَنزَلَها ﷻ؛ أي: على ما لها منَ العظمةِ المُكتَسبَةِ بإسنادِها إلينا؛ أي: إلى الله بسُلطانه وحُكمِه وحِكمتِه، وهي مَتلوَّةٌ مَسموعةٌ مَرئيَّةٌ منَ القوم، فإنَّه مع ما اشتملَت عليه ممّا لزمَهم به الإقرارُ بحقيقتِه من حقيَّةِ التَّوحيدِ وبُطلانِ الشِّرك، قالوا فيه ما لا معنَى له إلّا التَّلاعبُ والعِنادُ، ولولا ما عَلِموه وعايَنوه من إعجازِ القرآنِ في بلاغتِه ولغتِه ومناحي كلامِه، وعدمِ قدرتِهم على الإتيانِ ولو بأقصرِ سورةٍ منه ما طلبوا من رسولِ اللّه ﷺ تغييرَ القرآنِ أو تبديلَه، مع أنَّ آياتِ اللّه البيِّناتِ في كونِه تصدَحُ بوحدانيَّةِ اللّه وهم يَرَونَها، والقرآن يُحدّثُهم عنها، ولكنَّها لا تواجهُهم كآياتِ القرآنِ الَّتي تأمرُهم بنَبذِ عبادةِ الأصنامِ، والتزامِ عبادةِ الرَّحمن[3].

إعجازُ آياتِ القرآنِ في منظومةِ تشريعِها وبلاغتِها ولغتِها

كما أنّ إضافةَ الآياتِ إلى ضمير الجلالةِ يدلُّ على أنّ هذه الآياتِ جديرةٌ بإحداث البيانِ، وأنّها في الغاية من إقامةِ الاحتجاجِ وتبيينِ الاستدلالِ على ما سِيقَت له.

بلاغةُ الالتفاتِ منَ الخطابِ إلى الغَيبةِ:

بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ وقولِه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 14]، وهي الآيةُ السّابقةُ لها

بيانُ مكابرتِهم بالتّحدّي والتّعجيزِ، ومجانفتِهم لمهمَّةِ الاستخلافِ في الأرض

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/116.
(2) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/072.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/87.

مباشرة، أسلوبُ التفاتٍ، وهو تنوُّعٌ في أساليبِ البيانِ الّتي تُعَدُّ من معالمِ البلاغةِ العربيَّة وأفانينِها، و بها يبرزُ المعنى في سياقِ النَّصِّ الَّذي تُلحَظُ به ملمحيّةُ هذا الأسلوبِ، فقد تقدَّمَ في الآيةِ السّابقةِ قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 14] بأسلوبِ الخطابِ، ثمَّ تلاهُ قولُه هنا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ بأسلوبِ الغَيبةِ، وهذا الالتفاتُ منَ الخطابِ إلى الغَيبة، جاء مَسوقًا في إطار التّنديدِ بمطالبِهم اللّاعقلانية، بالإتيان بغير القرآنِ أو تبديلِه بغيره؛ وذلك بتوجيه الخطابِ إلى رسولِ الله ﷺ أن يفعلَ ذلك الفعلَ الشّنيعَ، وهو محضُ اعتداءٍ على صلاحيّاتِ المولى سبحانَه في الإنزالِ والاستبدالِ، بعد أن ذكّرَ بهلاك الأقوامِ السّابقي، وتطبيقِ مبدأ الاستخلاف؛ لمراقبة حصائلِ أعمالِهم، ونتائجِ تصرّفاتِهم، الّتي كانت على شاكلة السّابقينَ وأسوأ؛ لأنّها اتّسمَت بتكذيبِ الرَّسولِ ﷺ والكفرِ بالآياتِ البيِّناتِ، ممّا أبانَت عنه هذه الآية من نكرانٍ وكفرانٍ، كدأبِ الأقوامِ مِن قبلِهم منَ القرونِ المُهلَكةِ، فكانَ في ذلك إيضاحٌ للإعراضِ الحاصلِ منهم، بنأيهم عن مهمّة الاستخلافِ الَّتي أُنيطَ بهم القيامُ بها في الأرض[1]، وهي مهمّةٌ في غاية القداسةِ والأهمّيّةِ.

دَلالةُ التّعبيرِ بالفعل المضارعِ في: ﴿تُتْلَىٰ﴾:

تجدّدُ مطالبِهم الغريبةِ بتجدّد التّلاوةِ عليهم

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالفعلِ المضارعِ ﴿تُتْلَىٰ﴾ للدّلالةِ على التّكرُّرِ والتّجدُّد؛ أي: تجدُّدِ جوابِهم الآتي حَسبَ تجدُّدِ التِّلاوة[2]، وقد وقع التّكذيبُ والتّحدّي الصّارخُ في محطّاتٍ كثيرةٍ منَ الدّعوةِ النّبويّةِ المباركةِ، وتجدّدَ التّحدّي في مكّةَ والمدينةِ، فلم يترك المشركون ومَن لفَّ لفّهم من أهل الكتابِ والمنافقين فرصةً إلّا اهتبلوها، للإنكار

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/89، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/117.

الصّراحِ، والكفرِ البواحِ، طيلة فترةِ التّنزُّلِ إلى أن جاء نصرُ اللّه والفتحُ، ودخل النّاسُ في دين اللّه أفواجًا بعد فتح مكّةَ.

بلاغةُ الفصلِ بفعل القولِ في: ﴿قَالَ﴾:

جـوابُ الـشّرطِ يفصلُ لشِدَّةِ الاتّصالِ

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فُصِل عن سابقه ولم يُعطف؛ لأنّه وقعَ جوابًا للشّرط، فإنّ الرّبطَ بين الجملتين مُتحقِّقٌ لا يحوجُ إلى العطف، فعند تلاوة القرآنِ عليهم يكون فعلُهم إزاءَ ذلك أن يطلبوا تغييرَه، فيقولون ذلك مجاهرةً، فحُكِيَ في جملةِ الجوابِ أسلوبٌ آخرُ من أساليبِ تكذيبِهم[1].

سرُّ حذفِ المقول له في: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ﴾:

تـكـذيـبُ الـلـه ورسـولـه ﷺ ، والـصّـدُّ عـمّا يتلوه من أكبر السّفهِ والطّيشِ

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ﴾ بيّنَ النّظمُ الجليلُ اجتراءَهم على آياتِ اللّه وتكذيبَهم بها؛ لعدمِ خوفِهم من عقابِ اللّه يومَ اللّقاءِ به؛ لإنكارِهم للبعثِ والمعادِ منَ الأساس، فكانَ ذلك الملمحُ ذمًّا لهم، وتشنيعًا بمسلكهم الاعتقاديِّ المنحرفِ عن نورِ الهدى، وجادّةِ الصّوابِ، حيث كذَّبوا مَن يتلوها عليهم، وهو رسولُ اللّه ﷺ ، وإنّما لم يُذكرْ إيذانًا بتعيينِه[2]؛ لأنّه هو المكلَّفُ بالتّلاوةِ والبلاغِ عنِ اللّه، وقد واجهوه بأعنفِ التّصرُّفِ، وأسمعوه ما لا يرضى منَ القول، وهو غايةٌ في الضّلالِ والتّهوّرِ، وعدمِ التّبصُّرِ بالعواقب.

دَلالةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

الّـذيـن يُـنـكـرونَ الـبـعـثَ، ويطلُبونَ تغييرَ الـقـرآنِ، قـومٌ مـعـروفـون معهودون

عبّرَ النّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾، بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ للدّلالة على عمومِ المشركينَ الّذين كانوا على هذه الحالِ، كما ذكرَه القرآنُ، أو أنّه يعبّرُ عنِ العتاةِ الطّغاةِ الّذين ذُكِروا في السُّنَّة المطهّرةِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/115.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.

وهم خمسةٌ طلبوا هذا الطَّلبَ، وكانوا أشدَّ إنكارًا للبعثِ من عمومِ المشركين، وأكثرَهم مُماحَكةً وتعجيزًا لرسولِ الله ﷺ في طلبِهم ذاك، ويجمعُهم في التماسِهمُ المُعلَنِ وجهان: أحدُهما: أنَّهم ذكروا ذلك على سبيلِ السُّخريةِ والاستهزاءِ، وثانيهم: أن يكونَ المقصودُ: أنَّ هذا القرآنَ مُشتملٌ على ذمِّ آلهتِهم والطَّعنِ في طرائقِهم، وهم كانوا يتأذَّون منها، فالتمسوا كتابًا آخرَ ليس فيه ذلك[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالموصولِ دونَ الضّميرِ في الآية:

الصِّلةُ عَلَمٌ على مجموعِ مَن أنكرَ البعثَ، وآذى الرّسولَ الأكرمَ

في قولِه تعالى: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ عبّرَ عنهم بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بعد أن ذكرَهم بالضّمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وهم هُم أنفسُهم، فكانَ ذلك المقامُ مقامَ إضمارٍ، فما كانَ الإظهارُ بالموصوليَّةِ إلّا لأنَّ الَّذينَ لا يَرجون لقاءَ اللّه، اشتهرَ به المشركونَ فصارَت هذه الصِّلةُ كالعَلَمِ عليهم[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بصلة الموصولِ في: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾:

لا يُنكرُ القرآنَ المنـزَّلَ، إلّا مَن أنكرَ لقاءَ اللهِ المؤمَّلَ

جاءَ قولُه تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بعدَ قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ إشعارًا بعلِّيَّةِ الوصفِ بعدَمِ رجائِهم لقاءَ اللّه، بعد سماعِهم آياتِ اللّه تُتلَى عليهم من رسولِه ﷺ، فلمّا لم يتفاعلوا مع تلاوةِ تلكَ الآياتِ، لعدمِ إيمانِهم بلقاءِ اللّه قالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾؛ إنكارًا لوحيِ اللّه بالقرآنِ المنزَّلِ على رسولِ اللّه ﷺ[3]، والّذين يفعلون ذلك لا يخافون العذابَ، ولا يصدّقون بيومِ الحسابِ، وهم يعتمدون على عزوتِهم الدّنيويّةِ، ومكانتِهم المادّيّةِ، فصاروا في سكرتِهم يعمهون، ولذلك فقد كان انقطاعُ رجائِهم في الآخرة سببًا لازمًا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/223 - 225. وذكر في رواية ابن عبّاس ﷺ أنَّ الخمسةَ هم: الوليدُ بن المغيرة المخزوميّ، والعاص بن وائل السَّهميّ، والأسوَد بن المطّلب، والأسوَد بن يغوث، والحارث بن حنظلة، فقتل الله كلَّ رجلٍ منهم بطريقٍ آخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝﴾ [الحِجر: 95].

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/117.

(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/87، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.

لازبًا لطغيانهم الجارفِ، وتحدّيهم العاصفِ، فعبّر السّياقُ عن ذلك كلّه بواقعيّةٍ وعمقٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يَرْجُونَ﴾:

في قوله عزّ ذكرُه: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المضارع المنفي للدّلالة على استمرار النّفي، فانتفاءُ رجائهم دائمٌ لا ينقطع؛ وهذا يفصحُ عن إصرارهم على كفرِهم واستكبارِهم عن آياتِ اللّه تعالى.

عـدمُ رجائِـهم وانقطاعُ أملِهم بـلـقـاء الـلـه تعالى مُستمرٌّ لا ينقطعُ

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾:

دلَّ قولُه: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ على أنَّهم إنَّما اجترؤوا على آياتِ اللّه لعدمِ خَوفِهم من عقابِه، والرَّجاءُ لا يُستعمَلُ إلّا في المنافع، لكنَّه قد يدُلُّ على المَضارِّ من بعضِ الوجوهِ؛ لأنَّ مَن لا يرجو لِقاءَ ما وعدَ ربُّه به منَ الثَّوابِ، وهو القَصدُ بالتَّكليفِ، لا يخافُ أيضًا ما يوعِدُهُ به منَ العقابِ، فصارَ ذلكَ كنايةً عن جَحدِهم للبَعثِ والنُّشورِ[1]، والّذين لا يعتقدون أنّ لهم باللّه لقاءً، ولا يرجون له وقارًا، هم مَن لا يؤمنون بإلهٍ، ولا ببعثٍ؛ فقد قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]، وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون: 82]، وهذا هو الّذي ذكرته الآيةُ، حين لمّحَتْ إلى أنّهم سيُفاجؤون بخلاف ما كانوا يعتقدون، وسيجدون أنفسَهم بمواجهة الحقيقةِ، فيندمون ولاتَ ساعةَ مندمٍ، وهو ما عبّرَ عنه القرآنُ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النّور: 39][2].

مَـن لا يَـرجـو لقاءَ الله الأعلى لا يخافُ عقابَه الأوفى

سرُّ الإضافةِ في: ﴿لِقَآءَنَا﴾:

أضافَ النّظمُ الجليلُ لفظَ اللّقاءِ إلى ضمير التّعظيم (نا)

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/224، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 10/5799.

للدّلالة على تشريفِ ذلك اللّقاءِ وتعظيمِه، والتَّرهيبِ عن تكذيبِه، والتَّخويفِ منَ الجُرأةِ عليه، ممّا حكَتهُ أحلامُهم وأوهامُهم في تغييرِ القرآنِ أو تبديلِه[1]، واللّه غنيٌّ عنهم لا يضرُّه تبديلٌ ولا تكذيبٌ، ولكنّه يطلبُ من عباده العبوديّةَ له وطاعتَه، تماشيًا مع مقام التّكريم الّذي أرادَه للإنسان؛ كي ينسجمَ مع الكونِ المطيعِ له، فيدركَ عظمةَ اللّه الّتي لا يعجزُها شيءٌ في الأرض ولا في السّماء، وينتفعَ بما أعدَّ اللّه لعباده الصّالحين، من تكرمةٍ وعطاءٍ، ويسلمَ ممّا أوعدَ اللّه به المُكذِّبينَ من هلاكٍ وشقاءٍ.

إضافةُ تشريفٍ بلقاءِ اللهِ، وترغيبٍ في الإيمانِ به، وترهيبٍ عن تكذيبِه

دلالةُ فعلِ الأمرِ: ﴿ٱئۡتِ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ - وهو قرآنٌ لا ينكرُ عليهم عبادتَهم، ويُقرُّهم على سوءِ عقيدتِهم، بعدمِ رجائِهم لقاءَ اللّه - بيانٌ أنَّ القومَ أشاروا بهذا إلى القرآنِ المشتَمِلِ على تلكَ الآياتِ لا إلى نَفسِها، قَصدًا إلى إخراجِ الكُلِّ منَ البَين؛ أي: ائْتِ بكتابٍ آخرَ نقرؤُهُ ليس فيه ما نَستبعِدُه من البعثِ والحسابِ والجزاءِ، وما نكرهُهُ من ذمِّ آلهتِنا ومعايبِها، والوعيدِ على عبادتِها، فهم بذلك يُقيمونَ أنفُسَهم حُكّامًا على اللّه، أو آلهةً من دونِ اللّه بيدِها الأمرُ والنَّهي، وهذا غايةُ الجُرأةِ على اللّه ﷻ، تعالى اللّه عمّا يريدون عُلوًّا كبيرًا[2]، ويدلُّ الأمرُ بالإيتاء على مبلغ جهلِهم، وبطرِهم فهم قالوا ذلك مُتدلِّلين[3]، أو أنّهم قصدوا من ذلك إظهارَ تكذيبِ النّبيِّ ﷺ بنسبة المجيءِ بالقرآن من عندِه.

مَن طالبَ بتغيير القرآنِ على هواه فقد بلغَ في الجهل منتهاه

الغرضُ من طلبِهم تغييرُ القرآن في: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾:

أرادَ المشركونَ بطلبِهم التَّعجيزيِّ تغييرَ القرآنِ بآخرَ، ليس فيه

بيانُ سفاهةِ المشركين في اقتراحِهم تغييرَ القرآنِ أو تبديلَه

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3532.

ذمُّ آلهتِهم وتركُ عبادتِها وتسفيهُ أحلامِهم، وليس فيه حديثٌ عن البعثِ والحسابِ والجزاء، أو تبديلُ ما فيه من الآياتِ، بتحليلِ ما حرَّمَه أوتحريمِ ما أحلَّه، ممّا يناسبُ أهواءَهم، وسواءٌ أكانوا جادِّينَ بما طلَبوا أم مُستهزئينَ، فإنَّ القرآنَ الكريمَ قد سجَّل سفاهتَهم فيما أرادوا، وتعجيبَه الشَّديدَ من كلامِهم، وَوَهَنِ أحلامِهم[1]. وهم في قولهم ذلك "لا يحتجّون على أنّ المعجزةَ قرآنٌ يُتلَى، وإنّما يطلبون غيرَه من غير حكمةٍ يقدّرونها، ولا أمرٍ يتعلَّقُ بالقرآن يريدون خلافَه، كأنّهم لا يريدون تكليفاتِه، ولا يريدون ما فيه من محاربةِ عقائدِهم وشركِهم"[2].

سرُّ استعمالِ فعلِ الأمرِ من مادّة الإيتاءِ في: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ﴾:

زيفُ زعمِهم أنَّ الرّسولَ له أن يأتيَ بغيرِ القرآنِ أو يبدّلَه

يدلُّ الإتيانُ على المجيءِ بسهولةٍ[3]، فحكايةُ القرآنِ أنّهم طلبوا المجيءَ بقرآنٍ آخرَ بالفعل ﴿ٱئۡتِ﴾ إيماءً إلى ظنّهم أنّ المجيءَ بالقرآن سهلٌ ومتاحٌ؛ لأنّه تأليفُ النّبيِّ ﷺ بحسب ظنِّهم. فجاءَ فعلُ الأمرِ ﴿ٱئۡتِ﴾ بناءً على ما كانوا يقولون: أفترى على اللّه كذبًا؟ فيزعُمونَ أنَّ هذا القرآنَ من صياغةِ محمَّدٍ ﷺ ، فينسُبونَه إليه، ويزعمونَه قادرًا عليه وعلى مثلِه، أو أنَّهم أرادوا بقولهم: ﴿ٱئۡتِ﴾؛ أي: ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدِّلْه من جهةِ الوحيِ، كما أتيتَ بالقرآنِ من جهتِه[4].

نكتةُ حذفِ جوابِ الطَّلبِ لفعلِ الأمرِ ﴿ٱئۡتِ﴾:

قطعُ الطّريقِ على المستهزئين، بعدمِ مجاراتِهم في سفاهتِهم

أضمرَ النّظمُ الجليلُ جوابَ الطّلبِ الواقع بفعل الأمر: ﴿ٱئۡتِ﴾؛ أي: إنْ تأتِ بقرآنٍ غيرِ هذا نَتَّبِعْك؛ وحَذَفَ ذلك للإيجاز اعتمادًا على ظهورِ المعنى، وإنّما دلَّ على أنّ الجوابَ محذوفٌ أنّ طلبَهم

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/117.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3532.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/229.

الإتيانَ بقرآنٍ جديدٍ، إنّما كان لإظهار استعدادِهم أنّهم يتّبعونه في حال تغييرِ القرآنِ، ولم يكنِ التّغييرُ لأجلِ لا شيء.

دلالةُ تنكيرِ لفظِ القرآنِ في قوله: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ﴾:

حكى النّظمُ الجليلُ طلبَهم تغييرَ القرآنِ بتنكير لفظِ القرآنِ، فقال: ﴿بِقُرۡءَانٍ﴾ دلالةً على المغايرة؛ لأنّ النّكرةَ تدلُّ على العموم، فيصلح اللّفظُ أن يقعَ على كلّ أفرادِ الجنسِ، وليس المرادُ منَ التّنكير هنا التّكثيرَ ولا التّهوينَ بل مُطلَقَ المغايرةِ، فدلّ التّنكيرُ على أنّهم طلبوا المجيءَ بـ " أيِّ كلام مجموعٍ جامعٍ لما تريد"[1]. ففي اقتراحِهم إبدالَ قرآنٍ بقرآنٍ إيماءٌ بأنَّ هذا القرآنَ من عندِك، وأنَّكَ قادرٌ على مثلِه، كما قدَرتَ على الأوَّل، فأبدِلْ مكانَه آخر، وفيه ما لا يَخفَى منَ الكَيدِ والمكرِ من أولئكَ المعاندين[2]، وهو يردُّ على طلبِهم بالاستنكارِ والرّفضِ، ويقول لرسوله ﷺ: "إذا اقترحوا عليك بأن تأتيهم بما لم نأمرْك به، أو تريهم ما لم نظهرْ عليك منَ الآياتِ..فأخبرْهم أنّك غيرُ مُستقلٍّ بك، ولا موكولٍ إليك، فنحنُ القائمُ عليكَ، المُصرِّفُ لك، وأنتَ المُتَّبعُ لِما نُجريهِ عليكَ، غير مُبتدِعٍ لِما يحصلُ منكَ"[3].

الإشـارةُ منهم أنَّ محمَّدًا ﷺ قادرٌ على الإتيانِ بقرآنٍ جديدٍ

التّعبيرُ عنِ القرآن باسم الإشارة:

ذكرَ النّظمُ الكريمُ أنّهم أشاروا إلى القرآن باسم الإشارةِ هذا فقالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾، وأنّهم أعرضوا عن تَسميتِهِ بلفظ القرآنِ أو الكتابِ؛ وذلك لبيان أنّهم أرادوا التّقليلَ من شأنِه، كما أنّ التّعبيرَ باسم الإشارةِ يدلُّ على ظهورِهِ وشدّةِ حضورِه، بحيث إنّه يُشارُ إليه، فأنزلوه منزلةَ المشارِ إليه القريبِ المشخّص.

ظهرَ شأنُه حتّى كـأنّـه شـخـصٌ يُشار إليه

دَلالةُ طلبِ المشركين التَّغييرَ والتّبديلَ:

كما جاء في: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾، فطلبُ المشركينَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/87.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/229.
(3) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/84.

من رسولِ الله ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ غيرِ الَّذي يتلوه عليهم تصريحٌ منهم بأنَّ هذا القرآنَ غيرُ مُنزَّلٍ من عندِ الله، وأنَّ الَّذي جاءَ به غيرُ مُرسَلٍ منَ الله، وهذا يعني بحسب زعمِهم أنَّ بقدرةِ محمَّدٍ ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ آخرَ، يُناسبُ أهواءَهم، ويُحقِّقُ أحلامَهم، كما أنّ في اقتراحِهم ذلك يفصحُ عن خبثِ مقصدِهم، فإنّه إنْ وُجِدَ تبديلٌ وتغييرٌ؛ فإمّا أن يُهلِكَه اللّه تعالى - وحاشاه ذلك - فهو لا محالةَ ينجو منه، أو لا يُهلِكَه فيسخَروا منه، ويَجعلوا التَّبديلَ والتَّغييرَ حُجَّةً عليه وتَصحيحًا لافترائِه على اللّه[1].

طلبُ التَّغييرِ وَفقَ أهواءِ البشرِ كفرٌ بالوحي، وطلبُ الإهلاكِ للنّبيِّ، والسّخريةُ منه

ولفظُ التّبديلِ "يحتملُ التّبديلَ في الذّاتِ والتّبديلَ في الصّفات، يعني: اجعلْ آيةَ عذابٍ مكانَ آيةِ رحمةٍ، فإن قيل: يَلزَمُ على الأوّلِ التّكرارُ في قوله: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾، فالجوابُ أنّ معنى الأوّل: ائتِ بقرآنٍ غيره مع بقائِهِ، أو بَدِّله بأنْ تُزيلَ ذاتَه بالكلّيّة، فيتغاير المطلوبان"[2].

زيَّنَ المشركونَ مكرَهم وكيدَهم، وغلَّفوه بما لا يُفصِحُ عن خبيئتِهِ، فجاءَ اقتراحُهمُ التَّبديلَ والتَّغييرَ طمعًا منهم واختبارًا للحالِ الَّتي يصيرُ إليها ذاكَ المقترَح، وذلكَ أنَّه إنْ وُجِدَ منه تبديلٌ وتغييرٌ؛ فإمّا أن يُهلِكَه اللّه تعالى - وحاشاه ذلك - فهو لا محالةَ ينجو منه، أو لا يُهلِكَه فيسخَروا منه، ويَجعلوا التَّبديلَ والتَّغييرَ حُجَّةً عليه وتَصحيحًا لافترائِه على اللّه[3].

غرضُهم في طلبِ التّبديلِ؛ إمّا إهلاكُ اللهِ لنبيِّه ﷺ وإمّا السُّخريةُ منه

وفي طلبِ المشركينَ من رسولِ الله ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ غيرِ هذا الَّذي يتلوه عليهم، تصريحٌ منهم بأنَّ هذا القرآنَ غيرُ مُنزَّلٍ من عندِ الله، وأنَّ الَّذي جاءَ به غيرُ مُرسَلٍ منَ الله، وهذا يعني - كما

طلبُ التَّغييرِ وَفقَ أهواءِ البشرِ تقزيمٌ للأثَرِ، وتحريفٌ للخبرِ

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/229.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 6/163.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/229.

هو في زعمِهم – أنَّ بقدرةِ محمَّدٍ ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ آخرَ، يُناسبُ أهواءَهم، ويُحقِّقُ أحلامَهم، ولهذا جاءَ الجوابُ على مقترحِهم الفاسدِ بجوابَين: أحدُهما: ما أمرَ به رسولَه ﷺ بقولِه: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾، وهو جوابٌ صريحٌ عن اقتراحِهم، وثانيهما: ما لقَّنَه إيّاه بقولِه: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: 16]، وهو جوابٌ عن لازمِ كلامِهم[1].

توجيهُ المعنَى في: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾:

يدلُّ التّبديلُ الّذي طلبوه في قولِه تعالى: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ على أمرَين اثنين: الأوَّلُ: الإتيانُ بغيرِه؛ أي: بقرآنٍ آخَر، وهذا غيرُ مقدورٍ عليه للإنسان. والثّاني: ما كانَ تحتَ قُدرةِ الإنسان، وهو أن يضعَ مكانَ آيةِ عذابٍ آيةَ رحمةٍ ممّا أُنزلَ، وما كان على شاكلةِ ذلك، وأن يُسقِطَ ذكرَ الآلهةِ الّتي يعبدونها من دونِ اللّه.

التّبديلُ إمّا بغيرِه وإمّا بتغييرِه، وكلاهما مُمتنِعٌ على رسولِ الله ﷺ

وإذا كانَ التّبديلُ – الّذي هو تغييرُ كلماتٍ منه، أو إحلالُ آيةٍ مكانَ آية وَفقَ أهوائِهم – مُمتنعًا كان إبطالُ جميعِهِ والإتيانُ بغيرِه أَجدَرَ بالامتناع، ولذلكَ جاءَ الجوابُ بأَبلغِ صِيَغِ النَّفي بقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾؛ أي: ما يكونُ التَّبديلُ مِلكًا لي[2].

بلاغةُ فصلِ الجملةِ في: ﴿قُلْ﴾:

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ مُستأنَفَةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ "لأنّ ما تقدّمَ يثيرُ سؤالًا مفادُه: فماذا قالَ لهم عندما طلبوا ذلك، فقيل: قال له: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾.

تلقينُ الجوابِ أبلغُ في الإيفاء بالبيان

سرُّ التّعبيرِ بفعل الأمرِ: ﴿قُلْ﴾:

في قوله عزّ ذكرُه: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ افتتحَ النّظمُ الجليلُ الآيةَ بفعل الأمرِ (قل)، فآثرَ إخبارَهم بهذا الأسلوبِ دون أن يقولَ: (إنّ

افتتاحُ الخطابِ بفعلِ القولِ تنبيهٌ على أهمّيّة المُقال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/117 - 118.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/228 - 229، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/118.

تبديلَ القرآن ليس لي) إيماءً إلى أنّ الوحيَ تكفّلَ بالرّدِّ على اقتراحِهم ذلك، وهذا يصرّحُ بكون النّبيِّ ﷺ ليس له حتّى أن يجيبَ على طلبِهم ذلك، فيكون هذا نفيًا أن يكون القرآنُ من قوله من باب أولى. ويُضافُ إلى ذلك الاهتمام بمضمون الخطابِ المُفتتَح بفعل القولِ؛ حيث إنّ ذلك يقتضي التّكرارَ للمقول، مرّةً بالوحي، ومرّةً أخرى بامتثال النّبيِّ ﷺ بأنْ سيقولُ لهم ذلك حالَ مخاطبتِهم به مجدّدًا.

دلالةُ النّفي في: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾:

جاء النّفيُ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ بصيغة الكونِ المنفيِّ للدّلالة على المبالغة في النّفي، "أي: ما يصحُّ وما يستقيمُ لي، ولا يمكنني أصلاً"[1]، وهو أبلغُ من أن يقولَ: (لن أبدّلَه، أو لا أستطيعُ إبدالَه)؛ لأنّه نفى وجودَ الاستحقاقِ والقدرةِ من أصل، بمعنى: أنّ التّبديلَ لم يكن ضمنَ ملكي وقدرتي.

نـفـيُ الإمـكـانِ والـقـدرةِ على الفعل أبلغُ من نفي الفعلِ

دلالةُ تقديمِ شبه الجملةِ:

قدّم النّظمُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ المسندَ شبه الجملة على المسند إليه للدّلالة على الاختصاص، فالنّفيُ بوجود القدرةِ والإمكانِ مختصٌّ بالمتكلِّم؛ مبالغةً في نفي هذه الصّفةِ والقدرةِ عنه، فلمّا طالبوه بالتّغييرِ والتّبديلِ بالغَ لهم في نفي قدرتِه عن ذلك؛ تأكيدًا لكون ذلك من حقّ اللّه تعالى وحدَه.

تخصيصُ النّفي أبلغُ في الدّلالة على الخلوّ منَ الـقـدرةِ على التّغييرِ

سرُّ الاكتفاءِ بنفي التّبديلِ:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ التَّبديلُ أَقربُ إلى الإمكانِ منَ المجيءِ بقرآنٍ غيرِ هذا القرآنِ، فجوابُهُ هنا عنِ الأَسهلِ يكونُ جَوابًا عنِ الأَصعَبِ، فلمّا أنْ نَفى ﷺ الأَسهلَ، عُلِمَ بطريقِ المخالفةِ أنَّ الأصعبَ أوقعُ في النَّفي وأقربُ لإجابةِ المُحالِ المُحالِ[2].

كـلُّ أمـرٍ منفيٍّ بنصٍّ منَ القرآن فهو ذو أهمّيّةٍ ومكانٍ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/158.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/225.

علّةُ نَفي التَّبديلِ دونَ التَّغيير:

نَـفـيُ التَّـبـديـلِ المـقـدورِ عليه، دلالـــــةٌ عـلـى امـتـنـاعِـه عـنِ الرَّسولِ ﷺ

جاءَ نَفيُ التَّبديلِ الواردِ في قولِه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ﴾، بعدَ قولِه تعالى: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾؛ ليدُلَّ على أنَّ الإتيانَ بقرآنٍ غيرِ هذا، لا قدرةَ للإنسانِ على القيامِ به، فالقرآنُ الكريمُ وحيٌ منَ اللّه، فأنَّى لرسولِ اللّه ﷺ أن يأتيَ بقرآنٍ غيرِه، وأمّا التَّبديلُ بوضعِ آيةٍ مكانَ آية، أو تبديل بعضِ تراكيبِه أو كلماتٍ منه، وإنْ كانَ هذا مُمتنِعًا، لكنَّ الإتيانَ به متاحٌ وداخلٌ تحتَ قدرةِ الإنسانِ من حيثُ مُقارنتُه بالتَّغييرِ والإبدالِ الكُلِّيِّ، ولذلكَ جاءَ النَّفيُ بقولِه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓ﴾ على أنَّه إذا كان هذا مُمتَنِعًا كانَ إبطالُ جميعِه والإتيانُ بغيرِه أَجدَرَ بالامتناع[1]. وقَصرَ الجوابَ ببيانِ امتناعِ ما اقترحوهُ على اقتراحِهمُ الثّاني للإيذانِ بأنَّ استحالةَ ما اقترحوه أوَّلًا، منَ الظُّهورِ بحيث لا حاجةَ إلى بيانِها؛ لأنَّ التَّصدِّيَ لمثل ما طلبوُه من أَصلِه يُعدُّ من قَبيلِ المجاراةِ مع السُّفهاءِ في سفاهتِهم، ومُداراتِهم فيما لا سبيلَ إلى مُداراتِهم به، ولذلكَ جاءَ أمرُ اللّه له بقولِه: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓ﴾[2].

نكتةُ العدولِ إلى المصدرِ المؤوّلِ: ﴿أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ﴾:

تـجـدّدُ الـخـلـوّ منَ الـقـدرةِ على التّبديلِ مبالغةً في النّفي

عبّر النّظمُ العزيزُ بالمصدرِ المؤوّلِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ﴾ دون المصدرِ الصّريحِ، فلم يقُل: (ما يكون لي تبديلُه)؛ للدّلالة على أنّ ذلك مُمتنِعٌ عنه امتناعًا دائمًا مُستمرًّا، وذلك لِما في الفعل من دلالةٍ على الزّمن المتجدِّدِ، وهذا أبلغُ في نفي إمكانِ التّبديلِ من نفسِه.

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/328 - 229، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/118.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640.

دلالةُ التّعبيرِ بالتّبديلِ في: ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾:

التَّبديلُ مُمتنِعٌ عنِ الرَّسول ﷺ جزئيًّا كان أو كُلِّيًّا

التَّبديلُ يَشملُ الإتيانَ بغيرِ القرآنِ الموحَى به، وتبديلَ بعضِ كلماتِه أو تراكيبِه أو أيَّ تغييرٍ جزئيٍّ فيه، "بتغيير ترتيبِه، بأن تجعلَ مكانَ الآيةِ المشتملةِ على ما نستبعدُه منَ البعثِ والحسابِ والجزاءِ، وما نَكرهُهُ من ذمّ آلهتِنا، ومعايبِها، والوعيدِ على عبادتِها، آيةً آخرى خاليةً عنها"[1]، ولكنْ لَمّا كانَ كلاهما مُمتنِعًا تمامَ الامتناعِ، عبَّر عنه بقولِه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾؛ أي: ما يكونُ التَّبديلُ مِلْكًا بيديّ، وما يَصِحُّ وما يستقيمُ لي، فما أنا إلّا مُبلِّغٌ عن ربِّي[2].

دَلالةُ ﴿مِن﴾:

التَّبديلُ والنَّسخُ مشيئةُ اللهِ تعالى، مراعاةً لمصالحِ العباد

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بنفي أن يكونَ ابتداءُ تبديلِ ما في القرآن من جهة النّبيِّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾، فأدخلَ (مِن) الابتدائيّة لنفي كون التّبديلِ بادئًا منه؛ لأنّ التّبديلَ واقعٌ في القرآن بالنّسخ، فهذا التّبديلُ ابتدأَ من جهة الوحي، فإمكانُ وقوعِ التّبديلِ بالنّسخ واردٌ، ولكنّه ليس إلّا منَ الوحي.

فقولُه تعالى: ﴿مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ تأكَّدَ معناه بقولِه تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: لا آتي ولا أَذَرُ شيئًا – من نحوِ ذلكَ الَّذي تَطلُبون – إلّا مُتَّبِعًا لوحي اللّه وأوامرِه، إنْ نُسِختْ آيةٌ تَبعتُ النَّسخَ، وإنْ بُدِّلَتْ آيةٌ مكانَ آيةٍ تَبعتُ التَّبديل، وليسَ إليَّ تبديلٌ ولا نَسخٌ، فالكُلُّ بمشيئةِ اللّه تعالى وأمرِه[3]، وفي ذلك إشارةٌ واضحةٌ إلى الرَّدِّ عليهم، في إنكارِ تبديلِ الَّذي أنزلَه بالنَّسخِ بحسَبِ المصالح، كما أنزلَ أصلَه لمصلحةِ العبادِ مع نَسخِ الشَّرائعِ الماضيةِ به[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/128.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/640، وابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 11/118.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/229.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/88.

دَلالةُ لفظِ المصدرِ ﴿تِلۡقَآيِ﴾، وسرُّ إضافتِه:

الـرَّسـولُ ﷺ هو جهةُ البلاغِ والتّلقّي لا جهةُ الإرسالِ والتّصرُّفِ

في قولِه ﷺ: ﴿مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓ﴾ جاءَ ﴿تِلۡقَآيِ﴾ بصيغةِ المصدرِ على وزن تِفْعال، وقياسُ وزنِ التِّفعالِ الشّائعِ، هو فتحُ التّاء، وقد شذَّ عن ذلك تِلقاءٌ، وتِبيانٌ، وتِمثالٌ، بمعنَى اللِّقاءِ والبَيانِ والمُثولِ، فجاءَتْ بكسرِ التّاءِ لا رابعَ لها، ثمَّ أُطلِقَ التِّلقاءُ على جهة التَّلاقي، ثمَّ أُطلِقَ على الجهةِ والمكانِ مُطلَقًا، كقولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: 22]، فمعنَى ﴿مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓ﴾: من جهة نَفسِي. وهذا المجرورُ ﴿مِن تِلۡقَآيِ﴾ في موضعِ الحالِ المؤكِّدةِ لجملة: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ﴾، وهي المُسمّاةُ مُؤكِّدةً لغيرِها، إذِ التَّبديلُ لا يكونُ إلّا من فعلِ المُبدِلِ، فليسَتْ تلكَ الحالُ للتَّقييدِ، إذ لا يجوزُ فَرضُ أنْ يُبَدَّلَ من تِلقاءِ اللّه تعالى التَّبديلَ الَّذي يرَوْنَه، فالمعنَى أنَّ الرّسولَ مُبلِّغٌ لا مُتَصرِّفٌ ﷺ[1].

الموقعُ البيانيُّ للجملة في: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾:

عـلّـةُ الإمـكـان لـيـس امـتـنـاعَ الـقـدرةِ، بـل محضَ الاتّباعِ

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ استئنافيّةٌ استئنافًا تعليليًّا، فلمّا نفى قدرتَه وإمكانَه على التّبديل بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ﴾ أتبعَ ذلك ببيان علّته؛ " أي: ما أتبعُ إلّا الوحي، وليس لي تصرّفٌ بتغيير"[2].

دلالةُ النّفي بـ ﴿إِنۡ﴾:

حشدُ المؤكّدات لقطعِ الأوهامِ وسيّءِ الظّنونِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ النّفيَ بحرف النّفي ﴿إِنۡ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ لأنّه أبلغُ في النّفي، ولذا غلبَ مجيؤه مع (إلّا) للحصر المرادِ منه تأكيد مضمونِ الكلامِ؛ "أي: ما أتّبعُ في شيءٍ ممّا آتي وأذَرُ"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/118.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/118.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/128.

بلاغةُ المجاز في التّعبير بالفعل ﴿أَتَّبِعُ﴾:

الاتّـبـاعُ يقتضي الاقـتـصـارَ على التّبليغ

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالفعل ﴿أَتَّبِعُ﴾ في قوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ للدّلالة على أنّه إنّما يبلِّغُ ما وصلَه منَ الوحي ليس أكثرَ من ذلك، والاتّباعُ هنا "مجازٌ في عدم التّصرُّفِ، بجامعِ مُشابَهَةِ ذلك لِلاتّباعِ الّذي هو عدمُ تجاوزِ الاقتفاءِ في المَشي"[1].

بلاغةُ الحصر: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾:

قـطـعُ آمـالِـهـم بتأكيد اقتصارِهِ على الاتّباع

أكّدَ النّظمُ الجليلُ اقتصارَ النّبيِّ ﷺ على التّبليغ بأسلوب الحصرِ في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، فاقتضَت "(إن) النّافيةُ وأداةُ الاستثناءِ قَصرَ تعلُّقِ الاتّباعِ على ما أوحى اللّه وهو قَصرٌ إضافيٌّ، أيْ: لا أُبَلِّغُ إلّا ما أوحيَ إليَّ دونَ أن يكونَ المُتَّبَعُ شيئًا مُختَرَعًا حتّى أتَصرَّفَ فيه بالتّغييرِ والتّبديلِ، وقرينةُ كونِهِ إضافيًّا وقوعُهُ جوابًا لردِّ اقتراحِهِم"[2]، وهو قَصرُ قلبٍ لأنّهم ظنّوا عكسَ ذلك، وباعتبار طرفي القصرِ هو قصرُ موصوفٍ على صفةٍ؛ حيث قَصرَ نفسَه على صفة الاتّباعِ للمبالغة.

دلالةُ ﴿مَا﴾، وعلّةُ التّعبيرِ بـ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾:

تـضـمـنُ الـــرّدِّ تصريحًا بكون القرآنِ وحيَ حقٍّ ثابتٍ

عبّرَ النّظمُ الجليلُ في ما حكاه عنِ النّبيِّ ﷺ عنِ القرآن بالاسم الموصول ﴿مَا﴾، فقال تبارك اسمه: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ تصريحًا بأنّ القرآنَ الكريمَ وحيٌ منَ اللّه تعالى، وأنّه لا يملكُ التّصرّفَ فيه من جهته، وهذا المعنى سيفوتُ لو قيل: (إن أتّبعُ إلّا القرآن).

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يُوحَىٰ﴾:

الإصـــــرارُ على الاتّـبـاعِ وعـدمِ الانـــفـــكـــاكِ عـنـه تـأيـيـسًـا للمشركين

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ للدّلالة على أنّه دائمُ الاتّباع لا يتوقّفُ بحالٍ، وهذا أبلغُ في إظهار

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/119.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/119.

امتناعِه عنِ اتّباعهم فيما طلبوا، فهو مُصِرٌّ في كلّ حين على متابعة هذا الوحي الكريمِ، لا ينفكُّ عنه.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل المبنيّ للمفعول: ﴿يُوحَىٰٓ﴾:

الـوحـيُ جـديـرٌ بالاتّباع لذاته، بلا نـظرٍ لكونه مـوحًى بِـهِ من معيّن

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بالفعل المبنيِّ للمفعول في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ اهتمامًا بالموحَى به لا بالنّظر لكونه من معيّن؛ إذ هو جديرٌ بالاتّباع لذاته، لكونه كافيًا في بيان الحقّ لِما فيه منَ البيان. وفي هذا منَ المدح والثّناء على القرآن ما يردُّ به عليهم ضمنًا لمّا طلبوا تغييرَهُ وتبديلَهُ، فكأنّه قال: أنا أتّبعُه لأنّه جديرٌ بالاتّباع فماذا سيكون أفضل منه؟! كما أنّ عدمَ التّعبيرِ عنِ الفاعل اكتفاءً بمعرفته أدلُّ على الإيجاز.

دلالةُ التّقييدِ بشبهِ الجملةِ: ﴿إِلَيَّ﴾:

الـثّـقـةُ بـصـدقِ الـوحـي أصلُها ثقةُ الرّسولِ به

قيّدَ النّظمُ الكريمُ الاتّباعَ الّذي عبّرَ عنه النّبيُّ ﷺ في ما حكاه عنه ﷻ بقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ بشبه الجملةِ ﴿إِلَيَّ﴾، ولم يقُل: (إنْ أتّبعُ إلّا ما يوحَى)؛ لبيان أنّه مأمورٌ باتّباع الوحي الّذي ينزلُ إليه خاصّةً، فلو لم يكن هذا القيدُ لدلَّ على أنّه يتّبعُ كلَّ ما أوحِي به، فيشمل كلَّ الرّسالاتِ السّابقةِ، وهذا ليس المرادَ في السّياق، كما أنّ فيه تأكيدًا على أنّه واعٍ ومدركٌ لِما يوحَى به إليه، ردًّا على ما افتروه عليه منَ الجنونِ والشِّعرِ والسّحرِ.

الموقعُ البيانيُّ للجملة: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾:

تعليلُ الثّباتِ عـلى الـوحـي بالخوف منَ الله تعالى

جاءَتِ الجملةُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مُستأنَفةً استئنافاً تعليليًّا، كأنّه إجابةٌ عن سؤالٍ يثيرُه السّياقُ، فيقال: لمَ تتّبعُ ما يوحَى ولا تأتِ بقرآنٍ غيرِه؟ فقيل: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، فالجملةُ "تعليلٌ لمضمونِ ما قبله من امتناعِ التّبديلِ واقتصارِ أمرِهِ ﷺ على اتّباعِ الوحي؛ أي: أخافُ إنْ عصيتُهُ تعالى بتعاطِي ما ليس لي منَ التّبديلِ من تلقاءِ نفسي والإعراضِ عنِ اتّباعِ

الوحي عذابَ يَومٍ عَظِيمٍ"[1]. فلمّا كانت تعليليّةً اقتضى ذلك أن تأتيَ مفصولةً بلا عطفٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بالجملة الاسميّةِ المؤكَّدةِ في: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، ومجيءُ المسند فعلًا:

خـوفُ المقرّبين من ربّ العالمين ثابتٌ مُتجدِّدٌ

افتتحَ النّظمُ الكريمُ الجملةَ الاسميّةَ الدّالّةَ على التّأكيد بـ (إنّ) المؤكِّدة في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ لزيادة تأكيدِ مضمونِها، وجاء المسندُ فيها فعلًا مضارعًا ﴿أَخَافُ﴾؛ للدّلالة على تجدّد المعنى بالإضافة إلى ثباتِهِ المدلولِ عليه باسميّةِ الجملةِ.

دَلالةُ التّعبيرِ بالفعل المضارعِ في: ﴿أَخَافُ﴾:

وجـلُ قلوبِ الأنبياءِ والصّالحين دائمٌ لا ينفكّون عنه بحالٍ

جاءَتْ صيغةُ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ على سبيلِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ؛ أي: تجدُّدِ واستمرارِ الخوفِ من عصيانِ الله [2]ﷻ، وهو "تعليلٌ لمضمونِ ما قبلَهُ من امتناعِ التّبديلِ واقتصارِ أمرِه ﷺ على اتّباعِ الوحي؛ أي: أخافُ إن عصيتُه تعالى بتعاطِي ما ليس لي منَ التّبديل من تلقاءِ نفسي، والإعراضِ عن اتّباعِ الوحي، عذابَ يَومٍ عَظِيمٍ"[3].

دلالةُ الجملة الاعتراضيَّة بين الفعلِ ومفعولِهِ:

بيانُ خطورةِ عصيانِ الله، وخصوصًا في المساس بالقرآنِ وقداستِه

دلَّتْ جملةُ ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ مع اعتراضِها بينَ ﴿أَخَافُ﴾ و﴿عَذَابَ﴾، على بيانِ خُطورةِ الوقوعِ في معصيةِ الله، والتَّنفيرِ من عِصيانِ الله تعالى؛ لأنَّه سببُ العذابِ يومَ القيامة، والمرادُ هنا على وَجهِ الخصوصِ ما يتعلَّقُ بالسِّياق؛ أي: عصيتُه بالإتيانِ بقرآنٍ آخَرَ، وتبديلِه من تِلقاءِ نَفسي[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/129.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/88.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/129.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/641، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/119.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿إِنْ﴾ الشّرطيّة:

المعصيةُ في حقِّ النّبيِّ ﷺ تُذكَرُ على سبيل الفرضِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ في قوله عزّ ذكرُه: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أن يأتي الشّرطُ بـ (إن) دون (إذا)؛ لأنّه أراد ذكرَ ذلك من باب الفرض؛ إذ لا يُتصوَّرُ منَ النّبيّ ﷺ ذلك إلّا افتراضًا، إذ الشّرطيّةُ المبدوءةُ بـ(إنْ) يعبَّرُ بها عمّا شأنه ألّا يقعَ[1]..

سرُّ إيثارِ التّعبيرِ بالرُّبوبيَّةِ مع الإضافةِ: ﴿رَبِّي﴾:

تهويلُ عصيانِ اللهِ تعالى، وإظهارُ نزاهةِ الرَّسولِ ﷺ عنِ المعصية

آثرَ النّظمُ الجليلُ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ التّعبيرَ بعنوانِ الرَّبوبيَّةِ مُسندةً للضَّميرِ المَعنيِّ به رسولُ اللّه ﷺ؛ لتهويلِ أمرِ العِصيان، وإظهارِ كمالِ نَزاهتِه ﷺ[2]، وفي ذكرِ الرّبِّ في سياقِ المعصيةِ إظهارٌ إلى أنّ خوفَ المعصيةِ صادرٌ منَ الحياء، فكيف يُعصَى مَن سَبَقَ منه الإحسانُ والتّفضّلُ بجميل الإنعامِ.

فائدةُ التّعبيرِ بـ﴿إِنْ﴾:

النّبيُّ ﷺ محفوظٌ منَ العصيان

وقوله: "﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ بمعنى: أيُّ عصيانٍ كان، عذابُ يومٍ عظيمِ الشّأنِ، وهو يومُ القيامةِ، فكيف إذا عصيتُه بتبديلِ كلامِهِ اتّباعًا لأهوائكم؟ وقوله: إن عصيتُ من باب الفرضِ، إذ الشّرطيّة المبدوءة بـ (إنْ) يعبّرُ بها عمّا شأنُه ألّا يقعَ"[3].

علّةُ إيرادِ: ﴿يَوْمٍ﴾ بالتّنكير، ووصفه بـ﴿عَظِيمٍ﴾:

تفخيمُ شأنِ يومِ القيامةِ، وتهويلُ عذابِه أدلُّ على بيانِ الخوفِ

إيرادُ اليومِ بالتّنوينِ لتفخيمِ شأنِه وخطورةِ أحوالِه، ووصفُه بالعِظَمِ لتهويلِ ما فيه منَ العذابِ وتفظيعِ ما يَنالُ المُكذِّبينَ والمعانِدينَ والّذينَ يُغيِّرونَ في دينِ اللّه وأحكامِه، ويبدِّلونَ به ما ليس منه[4].

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/262.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/641.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/262.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/641.

دلالةُ التّشابهِ اللّفظيِّ بين آيتي: يونس، والأحقاف:

بيانُ حالِ الكفرةِ الّذين لا يرجون لقاءَ اللهِ، مع الوحي المنزَلِ

المتشابهُ بين قولِه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، وقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: 7]، حيث جاءَ في سورةِ يونُسَ كما في الأحقافِ تلاوةُ الآياتِ البيِّناتِ على الكافرين، وهمُ الَّذين لا يَرجونَ لقاءَ اللّه؛ أي: الَّذين كذَّبوا بالبعثِ وكفروا بلقاءِ اللّه، كما في (يونس)، وهم الَّذين قالَ اللّه عنهم في سورة الأحقاف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأحقاف: 7]؛ أي: هم كافرونَ بالحقِّ الَّذي جاءَهُم من عندِ اللّه، ولذلك طلبوا من رسولِ اللّه ﷺ أن يأتيَهم بقرآنٍ آخَرَ غيرِ هذا القرآنِ الَّذي يتلو عليهم منه آياتِ اللّه البيِّناتِ، أو أن يُبدِّلَ هذا القرآنَ بكاملِه، أو يُبدِّلَ ما فيه من آياتٍ بما يناسبُ عقيدَتَهمُ الوثنيَّةَ، ولا يُحرِّمُ عليهمُ الحرامَ؛ بل يحلُّه لهم، ولا يُحلُّ لهم الحلالَ؛ بل يُحرِّمُه عليهم.

وهذا يُعدُّ منهم طعنًا بالقرآنِ وآياتِه البيِّناتِ وإلّا ما طلبوا تغييرَه أو تبديلَه، وهذا مُؤدَّى ما قالوه في سورة الأحقاف: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: 7]، فهذا كذلك يُعدُّ طعنًا بالقرآن، ومُؤدَّى ذلكَ كلِّه عندَهم هو الطَّعنُ في نُبوَّةِ النَّبيِّ ﷺ حكاها اللّه تعالى في الآيتَينِ بأسلوبَينِ مختلفين، ولكنَّ مؤدّيهما واحدٌ، وأجابَ عنها ﷺ خيرَ الجواب، ففي (يونُس) قالَ تعالى موجِّهًا رسولَه ﷺ بالجوابِ الحقِّ الفاصلِ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقالَ في (الأحقاف): ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾ [الأحقاف: 8]، ثمَّ قالَ بعد ذلك: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 9][1].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/223 - 224.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التِّلاوة و القراءة:

التِّلاوةُ لا تكونُ إلّا لكلمتَينِ فصاعدًا، والقراءةُ تكونُ للكلمةِ الواحدة، يُقالُ: قرأَ فلانٌ اسمَه، ولا يُقالُ: تلا فلانٌ اسمَه؛ وذلكَ لأنَّ أصلَ التِّلاوةِ إتباعُ الشَّيءِ الشَّيءَ، يُقالُ: تلاه: إذا تبعَه، فتكونُ التِّلاوةُ في الكلماتِ يتبعُ بعضُها بعضًا، ولا تكونُ في الكلمةِ الواحدة، إذ لا يَصِحُّ فيه التُّلوّ. وكذلكَ فإنَّ التِّلاوةَ تختصُّ باتِّباعِ كُتُبِ اللّه المنزَّلةِ تارةً بالقراءة وتارةً بالارتِسام، لِما فيها من أَمرٍ ونَهيٍ وترغيبٍ وتَرهيبٍ، أو ما يُتوهَّمُ فيه ذلك، وهي أخصُّ منَ القراءة، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً، فقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ فهذه بالقراءة، وقولُه تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: 121] المرادُ به الاتِّباعُ له بالعلمِ والعملِ، وإنَّما استَعملَ التِّلاوةَ في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: 102] لِما كانَ يَزعُمُ الشَّياطينُ أنَّ ما يتلونَه هو من كُتُبِ اللّه[1].

التِّلاوةُ أخصُّ منَ القراءة، وكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً

البيِّنات والهُدَى:

البيِّناتُ جمعُ بيِّنة، وهي عند أهلِ الاصطلاحِ "الدّلالةُ الواضحةُ الكافيةُ عقلًا لإتمامِ الحجّةِ"، وقد وردَ في القرآن قولُه تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42]، وجاء عند ابن كثيرٍ في قوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾: "ودلائل وحجج بيّنة واضحة جليّة، لِمن فهمَها وتدبّرَها، دالّة على صحّة ما جاء به منَ الهدى المنافي للضّلالِ، والرّشدِ المخالفِ للغيّ"[2]، والبيانُ في الحقيقة: إظهارُ المعنَى للنَّفسِ كائنًا ما كان، فهو في الحقيقةِ من قَبيلِ القول، وسُمِّيَ

البيِّناتُ الدّلالاتُ الكاشفةُ عنِ المرادِ، والهُدَى بيانُ طريقِ الرُّشدِ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140، والرّاغب، المفردات: (تلو)، والكفويّ، الكلّيّات: 2/95، وهنري لامنس، الفرائد، ص: 46.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/502.

الكلامُ بيانًا لكشفِه عنِ المعنَى الَّذي يُرادُ إظهارُه. والبيِّنةُ: الدَّلالةُ الواضحةُ عقليَّةً كانت أو مَحسوسةً، وأمّا الهُدَى فهو بيانُ طريقِ الرُّشدِ ليُسلَكَ دونَ طريقِ الغيِّ هذا إذا أُطلِقَ، فإذا قُيِّدَ استُعمِلَ في غيرِه، فقيل: هُدِيَ إلى النّارِ وغيرِها[1].

(يَرجو) و(يتمنَّى):

الرَّجاءُ: الأمَل، رَجَوتُ الأمرَ أَرجوه رجاءً، ثمَّ يُتَّسعُ في ذلك، فربَّما يُعبَّرُ به في مقامِ الخوف، ويمكنُ أن يقعَ بمعنَى المبالاة، فيُقال: ما أرجو؛ أي: ما أُبالي. ويمكنُ أن يعبَّرَ عنِ الأملِ والخوفِ معًا، كما في الآيةِ هنا: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ أي: لا يأمُلونَ لقاءنا ولا يخافونَه، لذا قد يقعُ التَّلازمُ بينَ الرَّجاءِ والخوفِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۚ﴾ [النِّساء: 104][2]، وأمّا التَّمنِّي فهو معنًى في النَّفسِ يقعُ عندَ فَوتِ فعلٍ كان للمُتمنِّي في وقوعِه نَفعٌ أو في زوالِه ضررٌ، مُستقبَلًا كانَ ذلك الفعلُ أو ماضيًا.

الـرَّجـاءُ الأمـلُ بوقوعِ الأمرِ مع خوفٍ، والتَّمنِّي معنًى في النَّفسِ يقعُ عندَ الفَوتِ

والتَّمنِّي هو قولُ القائلِ: ليتَ الأمرَ كذا فيكونَ قولًا كما في قولِه تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ [البقرة: 94]، ويمكنُ أن يكونَ مع القولِ إضمارُ معناه في القلب، ويأتي التَّمنِّي بمعنى التِّلاوة، قالَ اللّه تعالى: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحجّ: 52][3]، فجاءَ في الآية نفيُ الرّجاءِ للدّلالةِ على أنّهم لا يأملون ذلك ولا ينتظرونه، ولم يخبرْ أنّهم لا يتمنّون لقاءَ اللّه تعالى؛ لأنّ نفيَ التّمني ليس قطعيًّا في الدّلالة على الكراهة، أمّا نفيُ الرّجاءِ والأملِ فهو دليلٌ على أنّهم لا ينتظرون لقاءَ اللّه لعدم توقّعِهم ذلك لكفرِهم بالبعث.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 109، والرّاغب، المفردات: (بين)، وابن منظور، لسان العرب: (بين) و(هدي).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة (رجى)، المعجم: 2/494 - 495، والرّاغب، المفردات: (رجا).

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 142 - 143، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (منا).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»